****ـ أعلام النقد الأدبي الجزائري القديم ـ****

الدرس الأول / النظريـــة النقديـــة عند "عبد الكريم النهشلي":

ولد بالمسيلة سنة 345هـ وتوفي بها سنة 405هـ.

أولا/ مفهـوم الشعـــــر:

اهتم (عبد الكريم النهشلي) بالتعمق في فهم الشعر أكثر حين تطرق إلى تحديد المفهوم الفني له متبعًا في ذلك سبل النقاد القدامى العرب الأوائل الذين تذوقوا وحاولوا فهم كنهه أو الذين خاضوا غمار تجربته، فسعوا على وضع حدّ مانع له. حيث أقرّ"عبد الكريم النهشلي" أنّ الشعر ليس مجرد ألفاظ موزونة ومقفاة أو أقوال تدل على معنى، وإنّماهو(**الفطنة والشعور**) ، إذْ اعتبر أن(**فطنة الشاعر**) هي قدرته على التنبؤ، أي الاكتشاف أو الكشف عن خفايا الأمور وذلك عندما أشار إلى أنّ<< المتنبي إنّما سمّيَ كذلك لفطنته>>. فالشاعر يكشف ما لا يستطيع غيره أن يكتشفه، وتكون وسيلة الكشف متمثلة في (**القلب**) بدل(**العقل**) و(**البصيرة**) بدل(**البصر**). وبالتالي فهو يشير إلى الوحي والإلهام الذي هو مصدر الإبداع الفني الخالد. وبهذا يكون تصور(النهشلي) لمفهوم الشعر موافقًا للتصورات التي سبقته في فهم الشعر على أنّه قدرة الشاعر على الابتكار والاختراع، أو ما أصطلح على تسميته (**بالفطنة**) فالشعر ليس محصورًا في الوزن والقافية فقط بل هو(الفطنة) بغوامض الأسباب. ومن هنا يظهر الدور الكبير الذي تلعبه العاطفة والخيال في إذكاء موهبة الخلق والإبداع لدى الشاعر الذي يستغل مؤهلاته الفنية. إنّ الشعر عند "عبد الكريم النهشلي" كلام يتسم **"بالشرف"**، ويبعث على **"الارتياح"** في القلب، وتجذب به النفوس بفضل ما يتوفر عليه من " **قافية وغنائية**" و"**حسن صياغة**"، ويستخدم لشحذ الأذهان وبعث النخوة لرفع الهمم، ويحفظ المآثر والأمجاد، والشعر عنده أيضا موزون ومقفى يتسم بالاستواء والشرف وحسن الصياغة من حيث اللفظ والمعنى والوزن والقافية.

ثانيـا/ اللفـظ والمعنـــــى:

لقد تنبه**"**عبد الكريم النهشلي**"** إلى أهمية اللغة أو الجانب الشكلي في النص الشعري حيث تكلم عن أهمية (**التجويد والتحسين**) في صناعة الشعر حتّى عدّ من أنصار" **اللفظ** "، فقد كان يؤْثِر اللفظ على المعنى كثيرا في شعره وتأليفه حيث يقول في تصوره للصناعة الشعرية << الكلام الجزل أغنى عن المعاني اللطيفة>> فالكلام الجزل عند "النهشلي" من خلال تركيبه ـ الذي يتجلى في الألفاظ القوية ذات الجرس المتناسب مع موضوع الشعرـ قادر على استمالة المتلقي بما يبعثه في النفس من الطرب والانسجام مع وقع الكلمات وتناغمها في النص الشعري، ولا يعني اهتمام "النهشلي" بالصياغة اللفظية والتجويد الخارجي للشعرأنّه يحط من قيمة" **المعاني**" أو يغفل دورها في إتمام معنى الجمال في النص الشعري وخاصة إذا تعلق الأمر **"بالمعاني الشريفة":** كالمثل السائر والتشبيه المصيب والاستعارة الحسنة، فكل هذه المعاني الشريفة إذا نحا بها الشاعرمنحى التجويد والتحسين فألبسها ثوبًا من الألفاظ الجزلة حصلت الجودة في الشعر.

ثـالثـا/ السرقـــات الأدبيـــــة:

وقد اقتفى الناقد" النهشلي" في تناوله لموضوع **(السرقات)** خطى النقاد مستعرضًا آراءهم في القضية دون أن ينسى إبداء رأيه الخاص فيها:<< قالوا السرق في الشعر ما نقل معناه دون لفظه، وأبعد في أخذه على أن من الناس من بعد ذهنه إلا عن مثل"امرئ القيس" و"طرفة" حين لم يختلفا إلا في القافية، فقال أحدهما: و"تحمل" وقال الآخر و"تجلد" ومنهم من يحتاج إلى دليل من اللفظ مع المعنى ويكون الغامض عندهم بمنزلة الظاهر وهم قليل>>. فعبد الكريم النهشلي في هذا النص يشدّد ويعسّر كي يفتح الباب على مصراعيه للإبداع الحق والابتكار المتأصل، فينبه بأن أخذ معنى ما وتوظيفه، إنّما هو سطو على الآخر وسرق لأفكاره. على أنّ " النهشلي" ليس متعصبًا إلى درجة خنق التأثر الذي قد يتم بقصد أو من دونه، فقال:<< واتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز، وتركه كل معنى سبق إليه جهل، ولكن المختار له عندي أوسط الحالات>>. فالمختار عند "النهشلي" هو **(أوسط الحالات)** فلا إفراط ولا تفريط في الاستفادة من التراث، وعلى الشاعر أن ينطلق من معاني وقوالب السابقين، ليؤسس لمعاني وقوالب جديدة، وهذا هو المسار الذي يسير فيه الإبداع نحو التجدد والنمو، كما يؤكد على فكرة مهمة وهي أنّ عملية الإبداع **(تكاملية)** يبني فيها الشاعر فكرته على أسس السابقين ولا غنى له عن هذه الأفكار والمعاني والمضامين، وكذا القوالب اللفظية التي نسجها الآخرون، إذ لا وجود لإبداع أو كتابة تبدأ من درجة الصفر أي من اللاشيء.

رابعـا/ التصنيف الأخلاقـي للشعـر:

كان تميز " النهشلي" في تصنيفه للشعر من خلال توجهه النقدي الذي وسمه النقاد **"بالنقد الأخلاقي"** حيث تغلبت (النزعة الأخلاقية الدينية)، لتفرض طابعها على رأيه الذي ساقه تلميذه " ابن رشيق القيرواني" قائلا: وقال عبد الكريم: << الشعر أصناف،**(فشعر هو خير كله)**، ذلك ما كان في باب الزهد والمواعظ الحسنة والمثل العائد على من تمثل به بالخير وما أشبه ذلك، و(**شعر هو شر كله)** وذلك غرض الهجاء، وما تسرع به الشاعر إلى أعراض الناس و**(شعر يتكسب به)** هو غرض المدح>>. ويتجلى بذلك الأساس الأخلاقي في تقسيمه للشعر، وذلك باعتماده على ثنائية أخلاقية مهمة **"الخير والشر"** التي تقوم عليها المؤسسة الأخلاقية.

خامسـا/ وظيفـــة الشعـــــر:

لقد تحدث" النهشلي" عن وظيفة الشعر، مبيّنًا الدور الذي يؤديه الشعراء وهو<< ذبهم عن الأحساب وانتصارهم به على الأعداء>>. كما بين دوره في حفظ المآثر والأحداث وتسجيل الوقائع والأيام، فذكر أنه لَوْ لاَ الشعر لجهل الناس تاريخ بعض القبائل وبيّن ذلك << خير كلام العرب أشرفه... الشعر الذي ترتاح له القلوب... وتحفظ به المآثر وتقيد به الأخبار>>. ومن النصوص التي ذكرها" النهشلي" وقصد بها تحديد بعض وظائف الشعر قوله:<<... وكَمْ جُهْد عسير، كان الشعر فرّج يُسْره، ومعروف كان سبب إسدائه، وحياة كان سبب استرجاعها، ورَحِمٌ كان سبب وصلها، ونار حرب أطفأها، وغضب بَرّدَه، وحقد سلّه، وغنى اجتلبه، وكم اسم نوّه به، ورجل عرّف به، وكم شاعر سعى بذمته، فردّ خيلا بعدما أُبِيحت، وأهلاً بعدما سُبِيَت، وفكّ أسارى عنتها سلاسل القيود>>. إنّ "عبد الكريم

النهشلي" ذكر أغلب وظائف الشعر، وفي النهاية كل هذه الوظائف تؤدي أو تصب في وظيفة مهمة وهي وظيفة التنفيس والتفريغ، أو ما يسميه " أرسطو" التطهير عند المبدع والمتلقي معًا.

سادسا/ القدم والحداثة : و قد سار" النهشلي" على نهج المعتدلين في نقد الشعر،الذي ظهر في نصه بموقف الناقد البصير المتذوق من خلال تحليله لتأثير العوامل الخارجية: **كالبيئة** و**العصر** في تنوع الأذواق وتمايزها بين إقليم وآخر، وكيف يجاري الشاعر الحذق كل زمان بما صلح فيه، و خرج " النهشلي" بقاعدة فنية مهمة يسير عليها الشعراء في تعاملهم مع الظروف المحيطة بشعرهم، حيث قال:<< قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد فيحسن في وقت ما لا يحسن في آخر، ويستحسن عند أهل البلد، ما لا يستحسن عند غيره، ونجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما أستجيد فيه وكثر استعماله عند أهله...والذي اختاره أنا **التجويد والتحسين** الذي يختاره علماء الناس بالشعر ويبقى عابره على الدهر ويبعد عن الوحشي المستكره، ويرتفع عن المولد المنتحل، ويتضمن المثل السائر والتشبيه المصيب والاستعارة الحسنة.>> فقد" النهشلي" المعيار الفني أساسًا للتمييز بين جيد الشعر و رديئه، ولا فضل بذلك لمتقدم على متأخر، و لا لمتأخر على متقدم إلا بالجودة الفنية التي تضمن تميز هذا الشعر وتألقه على الدهر.

مما سبق يتبين أن الناقد "عبد الكريم النهشلي" سار في ركاب النقاد الذين اعتدلوا في نقدهم للشعر، فلم يفرقوا بين قديم ومحدث إلا من خلال جودة **" الصنعة الفنية "** التي لا تعترف بزمان ولا مكان. و رأى " النهشلي" أن السر في الشعر الجيد الذي يبقى ذكره على مرّ الزمن،هو تفطن الشاعر لخاصية **" الذوق الفني"** التي تختلف باختلاف الأماكن والأزمنة مع اهتمامه **" بتجويد الصنعة الفنية "** التي تعدّ الغاية الأولى من فن الشعر.